الفصل الثانى

ماهية التدريس

يعتقد الكثيرون ان « التدريس » فن وان هناك من يولد ولديه موهبة فطرية للتدريس ، وانه يكفى المدرس أن يلم بموضوعات تخصصه ويتفوق فى مادته سواء كانت رياضيات أم اجتماعيات أم فنونا ، ليكون مدرسا ناجحا · ومن هؤلاء على سبيل المثال الكاتب بيديل Biddle الذى يقول ··· « اننا لا يمكننا تعريف أو تحديد أو قياس كفاءة المدرس ، وبناء على ذلك نحن لا نستطيع ان نعلم انسانا ان يكون مدرسا ، فهو اما مدرس بالفطرة أو لا ··· » ·

ولا شك والحمدلله ، ان هناك من يخالفون رأى بيديل وبشدة ، فمثلا جورج بروان George Brown يعلق على هذه الفكرة بقوله ··· ان قيادة الطائرات واجراء العمليات الجراحية واستبدال القلوب والكلى هى أيضا فن ولا بد ان تتوفر الموهبة لدى الفرد لكى يقود الطائرة أو ليجرى عملية جراحية ··· ولكن هل يعنى ذلك أن تسمح كلية الطيران أو كلية الطب لطلابها بممارسة مهنتهم قبل اعدادهم الاعداد

---

(١) Biddle, E. J. And Ellena. W. J. (1964) Contemporery Research On Teacher Effectiveness. Holt. Rinehart and Winston.

(٢) Brown, George (1975) Microteaching. A Programme of Teaching Skills, Methuen and Co. London.

الكافى والتأكد من اتقانهم المهارات الاساسية اللازمة لضمان نجاحهم ؟ ... وهكذا يجب أن ننظر الى التدريس . فانه يتطلب مجموعة مهارات أساسية لا بد من تحديدها وتعليمها لمدرس المستقبل والتأكد من اتقانه لها قبل السماح له بالتدريس . وهذا بلا شك دور كليات اعداد المعلمين التى يجب أن تعيد النظر جذريا فى برامجها والطرق المتبعة فيها لاعداد المدرس .

ولعلها بادرة خير ان نسمع عن مناقشات حول طرق التدريس والأساليب الحديثة فيه . وقد يتضمن الحديث شرحا وافيا عن أهمية حكمة القرن التاسع عشر المشهورة ... « يجب التدرج من المعروف الى المجهول . ومن السهل الى الصعب » وقد لا يتبع أستاذ طرق التدريس نفسه هذه الحكمة فى محاضراته ، ولكنه حتما يحاضر عن جدواها فى احداث التعلم . كذلك يتضمن اعداد المدرس محاضرات عن المشكلات التى قد يواجهها المدرس فى الفصل . وأحاديث ومناقشات عن نظريات الثواب والعقاب واثارة الرغبة فى التعليم وعن وعن ... مكتفين فى معظم الاحوال بقاعة المحاضرات بالكلية كمكان ، وبالسبورة والطباشير كوسائل لتدريب مدرس المستقبل . ولنا ان نتخيل ماذا يمكن أن يحدث لو ان اعداد الطيار أو طبيب جراحة القلب تتم بنفس هذه الطريقة .

التدريس والتعليم

استخدم تعبير التدريس فى هذا البحث بمفهوم ستيفين كورى Stephen Corey الذى عرفه بأنه « عملية متعمدة لتشكيل بيئة الفرد بصورة تمكنه من أن يتعلم القيام بسلوك محدد أو الاشتراك فى سلوك معين ، وذلك تحت شروط محددة

أو كاستجابة لظروف محـــددة » (١) · والتدريس Instruction بهـــذا المفهـوم هـــو ركيزة لعمليـــات التعليـــم التى تتضمن مجموعـــة أنشـــطة أخرى مثـــل أعمـــال كتابية ، وأعمـــال توجيهيـــة واستشارية ، وانتـــاج الوسـائل التعليمية ، وبعض المسئوليات الادارية ، كذلك بعض الانشـطة الرياضية والترفيهية ··· الى غير ذلك ·

وقد حاول دافيد ميريل David Merril (٢) مرة أن يحدد أو أن يحصر ويعدد أنشطة المعلم أو بمعنى آخر حاول أن يرد على سؤال : ما هو المعلم ؟ فكان من بين ما ورد فى اجابته أن المعلم هو :

- جليس أطفال
- ممثـــل
- اخصائى اجتماعى
- مراقب
- حـــكم
- موظف حسابات
- صراف
- قاضى
- سكرتير
- خبير قياس
- اخصائى وسائل تعليمية
- قائد مناقشات
- دليل سياحى
- كاتب
- ممرض
- مؤلف
- مخرج مسرحى
- محاضر
- رجل شرطه
- صـديق
- متنبىء
- مشرف

(١) Corey, Stephen M., «The Nature of Instruction» Programmed Instruction 66 th NSSE Year - Book Part II Chicago : University of Chicago Press 1967, P. 6.

(٢) Merrill, David M., «Instructional Design - A New Emphasis in Teacher Training», Educational Horizons Vol - 47. No. I. 1968.

ثم أضاف الى ذلك قوله ان عمـــل المعلم كعمل ربـة البيت يتضمن مجموعة أعمال عديدة ومتشعبة النوع أكثر من أى وظيفة أخرى فى المجتمع ٠

وهكذا نرى أن كلمة « تعليم » تعبير شامل وعـــام وبالتالى يمكننا ان نقول أنه تعبير مضلل اذا اطلقناه على ما نقصده فعلا اذا قلنا « تدريس » ٠ فمثلا نحن نستعمل كلمة تعليم فى لغتنا اليومية فى مواضع كثيرة حين نقول مثلا ان خطيب الجمعة فى الجامع يعلم الناس أصول الدين ، أو أن غضب الأم على طفلها علمه ألا يعرض ملابسه للقذارة ، أو أن نقول لقد تعلمت من مقال قرأته فى الجريدة اليومية الاساليب التى يستخدمها أصحاب المصانع فى الترويج لمنتجاتهم ، كذلك حين نقول لقد تعلمت من محاضرة استاذى اليوم طريقة استعمال جهاز قياس السعرات الحرارية فى الاطعمة ٠٠٠ والهدف من سرد كل هـذه الامثلة لاستعمالات كلمة تعليم هو توضيح مـدى عمومية الكلمة وأنهـا أى عملية التعليم ، عملية يشترك فيها كل انســـان بطريقة أو بأخرى ، بهدف مقصود أو بدون قصد واضح أو محدد ٠

أما كلمة « تدريس » فهى تعبير يشير الى نـوع خاص من طرق التعليم ، ويتضح الفرق الأساسى بين المعنيين فى نقطتين أساسيتين ، الأولى تحديد السلوك الذى نرغب فى تعليمه وتحديد الشروط التى نرغب أن يتم هـذا السلوك فى اطارها ٠ النقطة الثانية هى درجة التحكم فى بيئة المتعلم التى تضمن الى حد ما ، تحقيق الأهداف ، أى تضمن أنه فى نهـــاية عملية التدريس يستطيع المتعلم القيام بسلوك معين ٠

نستخلص مما سبق ان عملية التدريس ترتبط ارتبـــاطا

وثيقـــا بعملية التعلم ، ولـكن كما سبق ذكره ، ان التدريس لا يمكن ان يحدث أو لا يمكن أن ندعى حدوثه اذا لم ينتج عنه تعلم · بينما التعلم لا يتوقف حدوثه على التدريس · فالكائن الحى يتعلم فى بيئات مختلفة وهو يتعلم فى كل لحظة من لحظـــات حياته ، ولكنه يتعلم عن طريق التدريس فقط عندما يبـــذل مجهود خاص لتهيئة البيئة بطريقة معينة بقصـــد ان ينتج عنها نتائج محددة فى سلوك المتعلم ·

ويجدر بنا هنا ان نتوقف قليلا لالقاء الضـــوء على بعض المفاهيم والمدركات التى وردت فى تعريف كـــورى للتدريس · ولنبدأ بمفهوم « ··· تشكيل متعمد لبيئة الفرد ··· » قـــد يتراءى للقارىء ان التشكيل المتعمد يعنى اخضاع أو اجبـــار التلميذ على فعل أشياء رغمـــا عنـــه أو بدون ارادته ، وهـــذا غير مقصود بتاتا · بـــل على العكس ، فان من أهـــم خصـــائص التدريس أنه يتيح الحرية والحق للفرد الذى يدرس له ، أن يستجيب أو يرفض الاستجابة لمثيرات التدريس المقدمة له · ولكن التدريس الجيد يصمم ويخطط بطريقة واعية ومدروسة بحيث تصبح استجابة التلميذ أكثر احتمالا من رفضه ، وذلك طبعـــا يتم عن طريق أساليب الدفع والتشويق وتحريك رغبة التلميذ لكى يتعلم ·

مفهوم آخر ورد فى التعريف ويحسن توضيحه هو « ··· أن يقوم التلميذ بسلوك محدد ··· » وقد يفهم البعض خطـــأ أن السلوك المحـــدد يقتصر على الاستجابات الحركية أو المهـــارات الجسمية فقط وهـــذا غير صحيح بالمرة · والمقصود بالسلوك المحدد أى قدرة عقلية أو حركية أو حتى عاطفية وجدانية نرغب فى تعليمها للتلميذ · فمثلا اذا قلنـــا تعليم التلميذ « التفكير التأملى » أو « الابتكار » أو « تقدير قيمة الوقت » فانه من الممكن

اعتبار أى منها سلوكا محددا وهدفا من أهداف التدريس اذا استطعنا وصف السلوك الذى يدل على أن التلميذ يفكر تفكيرا تأمليا ، أو أنه يقوم بعمل ابتكارى ، أو أنه يقدر قيمة الوقت • بمعنى ، كيف نحكم على تفكير التلميذ ان كان تفكيرا تأمليا أو غير تأملى ؟ لابد ان هناك بعض المواصفات الواضحة التى نفرق على أساسها بين أنواع التفكير • فاذا استطعنا تحديد هذه المواصفات أصبح « التفكير التأملى » سلوكا محددا وبالتالى يمكن اعتباره هدفا محددا من أهداف التدريس فى موقف معين •

وقبل ان اترك مناقشة ما ورد فى التعريف من مفاهيم فانى أود أن أشرح فى تبسيط معنى « ••• تحت شروط محددة » • والمقصود بالشروط المحددة هنا هى مجموعة متطلبات ينبغى توفرها فى الموقف لكى يحدث التعلم المنشود • فقد تكون الشروط المحددة فى موقف من المواقف مجموعة معلومات أو مهارات معينة يستلزم توفرها فى المتعلم قبل مواجهته للمثير الجديد لضمان حدوث الاستجابة المطلوبة كأن يشترط المام التلميذ بالمكونات الاساسية للتغذية السليمة قبل ان يدرس أمراض سوء التغذية ، أو كأن يتقن التلميذ بعض التمرينات الرياضية قبل اقدامه على تعلم نوع معين من اللعبات كالسباحة أو القفز مثلا • وقد ترتبط الشروط المحددة بالبيئة الدراسية ذاتها كضرورة توفر بعض الاجهزة الخاصة أو الموارد المكتبية أو الملاعب أو المعامل وخلافه ، كشروط محددة لا بد من توافرها لضمان حدوث الاستجابات المطلوبة • وقد ترتبط الشروط المحددة هذه بالعامل الزمنى ، كأن يشترط توافر مدة زمنية معينة أو تحديد أوقات معينة يتم فيها تفاعل التلميذ مع البيئة ، من شأنها ضمان حدوث الاستجابات المتوقعة •

التدريس وتخطيط المناهج

يتضح من التعريف السابق لعملية التدريس أنها تختلف عن تخطيط المناهج الدراسية · ففى تخطيط المنهج تحدد الاهداف العامة للمواد الدراسية ويحدد المحتوى الذى تتضمنه كل مادة بالنسبة لفرقة دراسية معينة أو لسن معين ، وفى خطة المنهج تحدد عدد الساعات المخصصة للدراسة ··· الخ · أى أنه يمكننا القول ان تخطيط المنهج يهتم أساسا بماذا يدرس للتلاميذ ، بينما تهتم عملية التدريس بكيف ندرس ·

ويتضمن تخطيط المناهج وصفا عاما لسلوك التلاميذ المتوقع كنتيجة لسلسلة من الدراسات فى موضوع معين ، مثلا قد تنص أهداف مادة المواد الاجتماعية على تكوين المواطن الصالح . أو نجد تذوق الأدب كهدف من أهداف دراسة اللغات · أما التدريس فيأتى لكى يحدد كيف نعلم التلاميذ هذا السلوك أو ذاك مما ورد فى المنهج · ويلاحظ ان أسلوب صياغة المناهج غالبا ما يتصف بالعمومية وبالالفاظ الفلسفية الرنانة ، بينما تخطيط التدريس لابد أن يتصف بالدقة والتحديد · وهكذا يمكننا أن نقول ان التدريس هو الوسيلة التى تتحقق عن طريقها الغاية ، أى المنهج ·

ولاشك أن كلتا العمليتين مهمتان ومتكاملتان ، وان كنت أركز هنا على عملية التدريس وأهميتها فلا يعنى ذلك التقليل من أهمية عملية بناء وتخطيط المناهج ولا يجب أن يوحى كلامى بأن التدريس المنظم على أسس علمية يمكن أن يلغى أو يحل محل مرحلة تخطيط المناهج الدراسية ·